Produced with a Trial Version of PDF Annotator - www.PDFAnnotator.com

نقيشة الملك مسيبسا السيرتية
(دراسة لغوية تاريخية)

أ.د.محمد الصغير غانم•

لعل من بين أثمن مخلفات الملوك النوميديين المادية والفكرية التي بقيت شاهدة على عصرهم هو ما أخرجته معاول الأثريين من مواقع متفرقة في أحياء مدينة قسنطينة الحالية التي كانت نواتها الأولى هي ما بقي على الصخر العتيق في أعالي ساحة أول نوفمبر ١٩٥٤ (لابريش سابقا) (Place de la Brèche) والمتمثل في تلك النصب الحجرية التي علقت على الكثير منها نصوص ذات كتابة بونية وبونية جديدة، ثم إغريقية ولاتينية ويأتي على رأس تلك المواقع الأثرية المشار إليها آنفا ما عرف في أدبيات الأثريين بـ(موقع معبد الحفرة البوني) (Le Sanctuaire punique d'el-Hofra) المتواجد بأعالي ربوة جنان الزيتون الحالية المشرفة على الضفة اليسرى لوادي الريمال بعد التقائه بوادي بومرزوق الذي ينطلق من الجنوب الشرقي للحوض القسنطيني.[١]

لقد كانت اللقى الأثرية التي عثر عليها في موقع معبد الحفرة ، لاسيما في الحملتين الأثريتين المتباعدتين زمنيا عن بعضهما، حيث تمت أولهما سنة ١٨٧٥ على يد الباحث الإيطالي كوستة (Costa)[٢] والثانية امتدت فيما بين ١٩٥٠ ــ ١٩٥٥ على يد الباحثين أ. بيرتي(A. Berthier) ولابي شارليي(L'Abbé Charlier) [٣] بمثابة مكتبة قديمة طمرت تحت الأرض بفعل توالي تراكمات الزمن يستطيع المتفحص لها أن يخرج بفكرة واضحة على الجوانب الدينية التعبدية والتركيبة الاجتماعية والثقافية والتاريخية المتوافرة في المدينة حينذاك التي كانت تتعامل مع المعبد وفي هذا الإطار اخترنا أن نقدم أحد النصوص التي علقت على أحد النصب تتعلق بتوضيح نوعية الحكم الذي كان موجودا أثناء القرن الثاني قبل الميلاد في نوميديا وهو على مايلي كما ورد في النص الذي لم يبق من نصبه إلا حقل الكتابة (le champ d'écriture).

• أ.د. محمد الصغير غانم ـ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ـ قسم التاريخ والآثار ـ جامعة منتوري ـالجزائر.

١أ.د. محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية " مط. دار الأمة، الجزائر ١٩٩٨، ص ص.١٧٧ ــ ١٨٧.

2 Reboud Dr(V.) Quelque mots sur les stèles néopuniques découvertes par LAZARE COSTA, dans R. S. A. C. T. XVIII, 1876 - 1877,PP. 434 - 462.

3(- BERTHIER (A.) et CHARLIER (L. R.) Le sanctuaire punique d'el-Hofra à Constantine, Paris 1955 , PP. 4 - 8.

صورة النصب الحامل للنقيشة

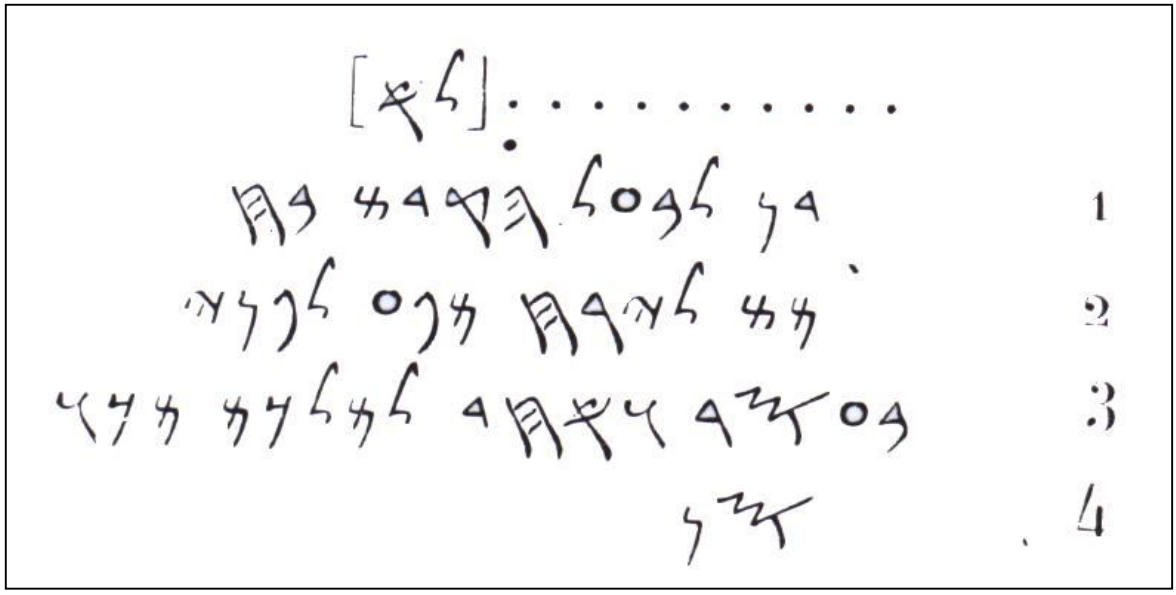

النص البوني للنقيشة

مكـــــــــان الحفـــــــرة

الاكتشـــاف: معبـد بقسنطينة ١٩٥٠.

مكان الحفظ: متحف سيرتا.
بيرتيي وشارلي، كتاب معبد الحفرة رقم ٦٤، لوحة ٨، أ.
محمد الصغير غانم : المساهمة الحضارية البونية رقم ٦٤ ، لوحة ٢٠،د
مقاييس النصب: الارتفاع ١٠سم، الطول ١٢,٥ سم، السمك ٨سم.
مقاييس حقل الكتابة: الطول ١٦,٥سم، الارتفاع ١١,٥ سم.
المادة: حجر كلسي أسود.
الحالة: جزء من نصب مهشم من الأعلى والأسفل.
الوصف: جزء من نصب مهشم من الأعلى والأسفل، مما جعل الجزء الأول من حقل كتابته يشوه. كما أن مظهر كتابته غير واضحة المعالم.

فك رموز النقيشة وما يقابلها في الحروف العربية :

.....[ل ا]
١- د ن ل ب ع ل هـ ق د ش ب ح
٢- م ش ل ي ر ح م ف ع ل ف ن ى
٣- ب ع س ر و ا ح د ل م ل ك م م ك و ا
٤- س ن

يلاحظ أن كتابة السطريين الأوليين وجزء من الثالث يبدو عليها الوضوح من حيث النقش والعناية في الكتابة.

أما الجزء الثاني من السطر الثالث فلسبب ما كانت كتابته رديئة.

سطر ١- صوبت كل كتابة هذا السطر بسهولة تامة بحيث أصبحت قراءتها واضحة.
على الشكل الآتي ل ا د ن ل ب ع ل هـ ق د ش ب ح
يقصد بـ (ل أ د ن) السمو والعلو وهو هنا يعني سمو الإله الذي يمثله بعل حمون الذي تسود عبادته معظم النصوص السيرتية، غاية ما هنالك أنه أشير إليه بصفة " المقدس" (هـ ق د س" في نقيشة هذا النصب.

وبذلك تكون القراءة الكاملة للسطر الأول:

– إلى المولى إلى بعل المقدس

سطر ٢ :

- م ش ل ي ر ح م ف ع ل ف ن ي

تضاف إلى الحرفين الأوليين من هذا السطر الحرفين النهائيين من السطر الأول وبذلك تصبح الكلمة (ب ح م ش).
أي في الخامس من شهر (ل ي ر ح) ليرح اسم لا يزال لحد الآن مجهولا ثم تأتي بعد ذلك الأحرف (ل ف ب ي) أي في الأول يظهر في النقيشة ٥٦، س٣ من كتاب معبد الحفرة.

سطر ٣ :

- ب ع س ر و ا ح د ل م ل ك م م ك و ا

(ب ع س ر) أي في العاشر (و ا ح د) تشير إلى رقم واحد، أما الأحرف (ل م ل ك م) فيطرح فيها حرف الميم الأخيرة إشكالية ! هل جيئ به للجمع أو للتعظيم أو يقصد به ملك الملوك أو تشير إلى المملكة وذلك مثل ما ورد في نقيشة أحيرام الجنائزية التي وجدت على التابوت الذي صنعه له ابنه يَحملك بمدينة جبيل ليكون متواه الأخير.[٤]

كما يلاحظ من جهة أخرى أنه لم يشر في هذا السطر إلى كلمة (س ن) التي غالبا ما تسبق فيها الوحدات العشرات، حيث نقول في السنة الحادي عشر [٥]حيث استغني على كلمة السنة !

وعليه تكون قراءة السطر الثالث على الشكل الآتي :

في السنة الحادية عشرة للملك

تضاف الحروف الأخيرة من السطر الثالث (م ك و ا) إلى حرفي السطر الرابع (س ن) فتصبح القراءة حينئذ (ل م ك و ا س ن) أي مكوسن وهو أحد أسماء الملك مسيبسا الذي ورث العرش بعد وفاة والده العاهل ماسينيسا . وقد شاركه في بداية الأمر أخواه غلوسة ومسطنبعل، لكنهما لم يعمرا طويلا بعد وفاة والدهما. ولذلك لم يشر إليهما في هذه النقيشة أو تلك التي وجدت عالقة على ضريح دقة والتي يعود تاريخها إلى السنة العاشرة من حكم مسيبسا.[٦]

وعليه فإن تاريخ هذه النقيشة قد يعود إلى السنة الحادية عشر من حكم الملك مسيبسا (مكوسن) . وهو ما يصادف سنة ١٣٨ – ١٣٧ ق.م.

أما تلك النقيشة التي عثر عليها في دقة فهي تعود كما ورد فيها إلى السنة العاشرة من حكم الملك المشار إليه آنفا وهي بذلك تعود إلى سنة ١٣٩ – ١٣٨ ق.م. أي سابقة لنقيشتنا هذه بسنة واحدة ، غير أن كتابتهما من حيث الشكل تكاد تكون مختلفة[٧].ذلك لأن النقيشة السيرتية لا تخفي مهارة الناقش في إعطاء الحرف ما يستحقه من دقة وجمال[٨].

قراءة النص بأكمله

١- .....[الى المو]

---

[4]- PARROT (A.) Chihab (H.) et MOSCATI (S.) , Les phéniciens (l'expansion phéniciennes - Carthage,éd. Gallimard, Paris 1975, P. 09.

[٥] أحمد حامدة ، المدخل إلى اللغة الكنعانية- الفينيقية ، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٥، ص. ٢٩.

[٦] المنجد في اللغة والأعلام ، مطبعة دار المشرق ، بيروت لبنان ١٩٦٠، ص. ص. ٤٩٠ – ٤٩١؛ ربحي كمال ، دروس في اللغة العبرية ، مطبعة دار النهضة العربية بيروت ، لبنان ١٩٧٨، ص. ص. ٩٧ –٩٨.

[7]- Chabout (abbé. J. B.), Recueils des inscriptions Libyques , Imprimerie nationale 1940, PL. II,

[٨] محمد الصغير غانم ، نقيشة دوقة الأثرية دراسة لغوية تاريخية ، مجلة العلوم الإنسانية عدد ١٠، جامعة قسنطينة ١٩٩٨ ، ص. ص. ١٠١ – ١١٢.

٢- لى إلى بعل المقدس في
٣- الخامس من شهر مفع السابق أو (الأول)
٤- في السنة الحادية عشرة للملك مكو
٥- سن

السياق التاريخي :

إن الفائدة التاريخية التي يمكن استخلاصها من نص النقيشة الأنفة الذكر والتي ركز فيها على تاريخ الملك مسيبسا أو مكوسن (MKWSN) كما ورد اسمه في النقيشة[٩] من حيث الجانب التاريخي، فهو أكبر أبناء العاهل ماسينيسا وأحد ملوك الدولة النوميدية الأوائل الذي تولى الحكم مع أخويه غلوسة (GULUSSA) [١٠] ومسطنبعل (MASTANABAL)[١١] ، غير أن هذين الأخيرين لم يعمرا طويلا بعد وفاة والدهما، وبذلك انفرد مسيبسا بالحكم رغم كبر سنه[١٢].

ومن جهتها تشير الكتابات التاريخية إلى أن مولد مسيبسا كان حوالي سنة ٢٠٠ ق.م.، غير أننا لا نعرف شيئا عن طفولته، وكل الذي وصل إلى المؤرخين فيما بعد هو أنه تربى في كنف والده مسينيسا وتتلمذ عليه في كره القرطاجيين ومسالمة الرومان[١٣].

ولما تقدمت الشيخوخة بمسيبسا ورأى ما رأى من طموح ابن أخيه يوغرطة الذي احتضنه قبل ذلك وتولى تربيته بعد وفاة والده مسطنبعل ، أصبح يخشى عن إبنيه أدهر بعر وهيمبصال من هيمنة هذا الشاب، فكضم غيضه وكتم حقده ومخاوفه عن ابن أخيه وتظاهر له بالحب والولاء، غير أنه حاول أن يتخلص منه بطرق ديبلوماسية ترضي النوميديين وحلفائهم الرومان[١٤].

9- BERTHIER (A.) et CHARLIER (L. R.), op. cit., P. 62.

[١٠] كان غلوسة (GULUSSA) ابن الملك ماسينيسا قد كلف بقيادة الجيش من قبل سيبيون أمليانوس الذي أشرف على توزيع تركة مناصب الحكم بعد وفاة العاهل ماسينيسا على أبنائه ، ذلك لأن غلوسة كان يحسن حرب الكر والفر التي اشتهر بها النوميديون حين ذاك، غير أنه لم يعمر طويلا بعد وفاة والده لمزيد من المعلومات أنظر

Polybius Histoire , Texte traduit et présenté par Roussel (D.), Gallimard 1970 XXXVI, 16.

[١١] مسطنبعل (Mustanbel) هو أحد أبناء ماسينيسا الذين استلموا الحكم بعد وفاته وكان قد كلف بالسلطة القضائية من جانب القائد الروماني سيبيون أمليانوس وذلك لما كان يعرفه عن الأمير النوميدي من قدرات ثقافية ورياضية ،لاسيما في تربية الخيول وترويضها غير أنه لم يعمر هو الآخر مثل أخيه غلوسة. وفي هذا الصدد يشير المؤرخ الروماني سالوست بأن سبب وفاتهما المتقارب لا يستبعد أن يكون بسبب مرض معدي أصابهما، لمزيد من المعلومات أنظر ؛

-SALLUSTIUS la conjuration de catelina, la guerre de Jugurtha, texte établir et traduit par Ernout (A.) , éd. les belles lettres , Paris 1989, XL, 1.

12 - Mazard (J.) : Corpusse nummoroum , Numidiae moritanique , Paris 1955, P. 29.

[١٣] محمد حسين فنطر يوغرطة ، الدار التونسية للنشر ١٩٧٠، ص. ص. ١٢٠ – ١٢١.

[١٤] نفسه ، ص. ١٢٠.

وقد كانت خطة مسيبسا للتخلص من يوغرطة هي إرساله على رأس جيش لمساعدة الرومان في حروبهم بإسبانيا ضد سكانها من الإيبيريين وذلك سنة ١٣٤ ق.م.[١٥] وكان غرض الملك مسيبسا من ذلك هو كسب ود الرومان من جهة وتعريض حياة الشاب الطموح يوغرطة للخطر المهلك من جهة أخرى وبذلك يكون قد ضرب عصفورين بحجر واحد كما يقال[١٦].

غير أن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن؟ فقد أبلى يوغرطة في حروب نومونس (NUMANS) بلاء حسنا وبذلك نال إعجاب القائد الروماني سيبيون أمليانوس (Sepion Emilianus) الذي اختلى بيوغرطة في خيمة القيادة الرمانية بعد انتهاء الحرب وانتصار الرومان مقدما له النصائح الآتية حسب ما ذكره المؤرخ سالوست (Salluste) في شكل تحذير له إن هو خالف ما ينوي الرومان القيام به في المنطقة أو اعترض طريقهم، مطالبا إياه في نفس الوقت أن يعتني بصداقته مع الرمان مذكرا إياه بقوة وهيبة الرومان في منطقة البحر المتوسط ، كما أوصاه أن يضرب صفحا عن تقديم الهدايا والرشاوى إلى الذين لهم مكانتهم العليا في الحياة السياسية الرومانية ، ذلك لأن تلك الطبقة أو الفئة لا ترى إلا مصالحها الشخصية [١٧]ثم أكد له قائلا ؛ إن أنت تحصلت على صداقة مجلس الشيوخ والشعب الروماني وأحسنت صيانتها سيكون المجد حليفك وتتبوء العرش ، إن أنت قلبت لهم ظهر المجن وقابلت المعروف بالغدر، لن يغني عنك مالك وجاهك وشجاعتك شيئا[١٨].

وقد زود القائد الرروماني سيبيون يوغرطة برسالة إعجاب وتقدير حسب سالوست مرسلة إلى عمه مسيبسا ومن بين ما ورد في تلك الرسالة حسب ما ذكره المؤرخ الروماني [١٩]الأتي :

" لقد أبدى عزيزك يوغرطة في حرب نومانس شجاعة منقطعة النظير ، هذه بشرى أزفها لك ولا شك أنها ستغمر قلبك فرحا، ليوغرطة من الخصال ما جعله عزيزا علينا وسنعمل جاهدين حتى يشاطرنا مجلس الشيوخ والشعب الروماني هذا الشعور..."، ثم ينهي سيبيون رسالته لمسيبسا بالعبارة التالية : " هأنا ذا أقدم لك أطيب التهاني باسم الصداقة التي تربط بيننا ، لك في يوغرطة رجل جدير بك وبجده مسينيسا[٢٠].

---

[15] SALLUSTE, V,7; X

[16] Ibid. , VII, 1 - 2 ; 4 - 7.

[17] - SALLUSTE , la guerre de Jugurtha trad.. par François Richard, éd. Garnier Flammarion , Paris 1968, PP. 85 - 86,VIII- IX.

[18] - Ibid., VIII

[19] - GSELL (ST.) Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Hachette, Paris 1913, T. 7, P. 141, note N. 1.

[20] - Salluste IX , 3- 6

وقد فهم مسيبسا والمؤرخون فيما بعد من محتوى هذه الرسالة بأن القائد الروماني سيبيون كان يوعز للملك مسيبسا من طرف خفي أن يسلم الحكم ليوغرطة [٢١]،الذي فاز بتقدير وإعجاب قائد الجيش الروماني.

لقد أثرت عودة يوغرطة منتصرا في نفسية عمه مسيبسا فازدادت مخاوفه مما جعله يسلك معه أسلوب اللين والحنان علّه يؤثر فيه فتلين عريكته اتجاه ابنيه الصغيرين ، وأكثر من ذلك تبناه حتى يجعله شريكا في الحكم بعد رحيله إلى العالم الآخر.

وتجدر الملاحظة إلى أن المملكة النوميدية في فترة حكم الملك مسيبسا أصبحت ذات معالم واضحة بحيث كانت تمتد من حدود إفريقيا الرومانية شرقا حتى نهر الملوية غربا، كما أنها أصبحت على غاية كبيرة من الازدهار والاستقرار الذي وفره لها الملك مسيبسا بفضل سياسته السلمية حتى لا نقول سياسة (التبعية المطلقة) ! للرومان الذين كانوا يمثلون القوة الجديدة التي حلت بالمنطقة[٢٢].

ومع ذلك فإنه إذا كانت فترة العاهل ماسينيسا مليئة بالحروب ووضع الأسس الأولى للدولة النوميدية والعمل على استقرار البدو وشق الطرق واستعادة زمام الحكم الأسري لأسرة الماسيليين واتخاذ (كرتن) سيرتا كعاصمة للدولة وتمتين العلاقة مع الرومان والإغريق ، لاسيما جزر السيكلاد ، وتبادل معهم السفراء فإن مرحلة مسيبسا كان التركيز فيها على مواصلة نفس السياسة مع الرومان وذلك وفقا للمثل القائل (اليد التي لا تستطيع أن تحاربها عليك أن تقبلها) وهو ما جعل سياسته الداخلية تتسم بالازدهار الثقافي[٢٣] حيث أن كتابة معظم النقوش البونية تعود إلى فترته إلى جانب وجود كوكبة من الفنانين والأدباء الإغريق والإيطاليين في بلاطه[٢٤].

هذا إلى جانب النمو الاقتصادي المتمثل في الاعتناء بالثروة الحيوانية والزراعة وسك العملة باسم الملوك النوميديين إلى درجة تجعلنا نقول أن نوميديا في فترة العاهل مسيبسا أصبحت تسيل لعاب الساسة والعسكرية الرومانية [٢٥]، ولم يغفل مسيبسا الاعتناء بتنشئة وتنمية المدن النوميدية التي أصبحت رافدا مهما لعاصمة الدولة النوميدية الموحدة التي امتدت حدودها أثناء حكمه من نهر الملوية غربا حتى خليج السيرت شرقا باستثناء شمال تونس الذي أسس فيه الرومان ولايتهم الرومانية (Africa Romana) بعد تهديمهم

---

[٢١] محمد الصغير غانم : "المملكة النوميدية والحضارة البونية..." ص. ٩٣ هامش رقم ٢.

[22] Salluste XI.

[23]- CHABOUT, Recueils des inscriptions libyques, Paris Imprimerie nationale 1940, insc. N° 02.

[٢٤] محمد الصغير غانم نقيشة مسيبسا الأثرية ، مجلة سيرتا ، العدد ٤، جامعة قسنطينة ١٩٨٠، ص. ٤ وما يليها.

[25]- Mercier (E.), Histoire de Constantine 1903, P. 103. et suiv.

لمدينة قرطاجة سنة ١٤٦ قبل الميلاد[٢٦].ولذلك نرى العاهل مسيبسا أو مكوسن يلقب في النقوش النوميدية وفي النقوش الليبية تارة بالإغليد[٢٧] وفي البونية بالأمير أو الملك[٢٨].

الاستنتاجات التي يمكن الوصول إليها من خلال قراءة النقيشة :

١- تعتبر هذه النقيشة من بين تلك النقائش القلائل التي عثر عليها في معبد الحفرة حيث يصرح فيها باسم الملك (مكوسن) مسيبسا ويذكر التاريخ الذي حكم فيه، ثم يضبط فيها اليوم والشهر والسنة التي نقش فيها نصبها.

٢- تحديد حكم الملك الذي أنجزت في فترته والذي حكم بمفرده دون أخويه اللذين شاركاه الحكم بعد وفاة والدهما ماسينيسا

٣- يفهم من صيغة جمل النقيشة البونية وأسماء الأعلام الواردة فيها وكذا شكل كتابتها البونية أنها متأخرة من حيث الزمن عن نقيشة دوقة الثانية والتي يشار فيها هي الأخرى إلى تاريخ إنجازها (السنة العاشرة من حكم مكوسن) الذي يستهل سنة ١٤٨ق.م.

٤- إن ما ورود في السطر الرابع والخاص بكلمة لـ (ل م ل ك م) الذي استعملت فيه الميم للجمع يبقى تحليله غامضا هل حرف الميم هنا يعتبر زائدا ؟ أم أنه يقصد به الحكم أي المملكة ؟ أو الملك مسيبسا ذاته أو الأمير ؟

٥- إن عدم ذكر الملكين غلوسة ومسطنبعل في هذه النقيشة وهما شقيقا الملك مكوسن يدل على أن كتابتها قد أنجزت بعد وفاتهما

٦- لم يشر في هذه النقيشة إلى مقدم النذر وكذا الإله الذي قدم له القربان بل اكتفي فقط بذكر (جملة لبعل المقدس) هل بعل المقدس هنا يفهم منه بعل حمون الذي تعودنا على وجود كتابة اسمه في كثير من النقائش البونية السيرتية ؟

٧- كذلك يلاحظ أنه لم تنه النقيشة بالصيغة الختامية المعتادة (استجاب لدعائه فباركه) ، وهو في رأينا خروج عن المألوف في مثل نقوش معبد الحفرة البوني.

٨- مع كل ما أشير إليه من تساؤلات مستخرجة من نقيشة مسيبسا السيرتية تبقى أهميتها التاريخية لا يستهان بها حيث أنها تعد ثاني نقيشة استخرجت من موقع معبد الحفرة البوني يشار فيها إلى اسم الملك مكوسن

٩- يظهر أن ما ورد في هذه النقيشة من إشارة إلى تاريخ الحكم واسم الشخصية الحاكمة ، ونوعية الحكم ، مدى أهمية النقوش القديمة في إعادة كتابة التاريخ

26- Talatli, (S.) La Carthage punique , étude urbaine, Librairie d'Amérique et d'orient, Paris 1978.

٢٧ محمد الصغير غانم " نقيشة مسيبسا الأثرية ..." ص. ص. ٦ – ١٣.

28- BERTHIER (A.) et CHARLIER (L. R), op. cit., P. 62.

المغاربي القديم، لاسيما ذلك الذي يتعلق بالمملكة النوميدية التي تعتبر أول دولة جزائرية عرفت في تاريخ بلادنا وذلك منذ القرن الثالث قبل الميلاد